

٩

آداب الذكر

مصطفى أحمد علي



بسم الله الرحمن الرحيم

قصص آداب الإسلام

٩

قصص آداب الذّكر

إعداد

مصطفى أحمد علي

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

رقم التسلسل ٥٨

سورية - دمشق - حلبوني - ص.ب ٢٥٢٣٧

فاكس : ٢٤٥٤٠١٣ ١١ ٩٦٣+ هاتف ٢٤٥٣٦٣٨ ١١ ٩٦٣+

algwthani@scs-net.org



النِّداءُ الخَفِيُّ

خَرَجَ النَّبيُّ ﷺ وَصحابتُهُ ـ رُضوانُ اللهِ عَليهِمْ ـ في سَفَرٍ، فَجعَلَ الصَّحابةُ يَجْهَرُونَ بالذِّكرِ والتَّكبيرِ كلَّمَا صَعَدُوا مُرتَفَعاً أو نزلُوا وَادياً، وكانَ أعلاهُمْ صَوتاً ذاكَ الذِي كُلَّمَا صَعَدَ أو هبَطَ نادَى: لا إلهَ إلاَّ اللهُ، وَاللهُ أكبرُ.

وَرأى رسُولُ اللهِ ﷺ مَا كَانَ من أصحابِهِ مِنَ الصَّخَبِ وَالضَّجيجِ، فَلَمْ يُعْجِبْهُ مَا صنَعُوا، فَإنَّ مَا صَنَعُوا؛ وَإنْ جَازَ فِي حَقِّ الغَائبِ وَمن بهِ صَمَمٌ، فإنَّهُ لا يَجُوزُ فِي حقِّ اللهِ؛ فإنَّهُ ـ سُبحانَهُ ـ ليسَ بغائبٍ ولا أصَمَّ، بَل سَميعٌ قَريبٌ مُجيبٌ، فَبيَّنَ لَهُمُ النَّبيُّ ﷺ سوءَ مَا صَنعُوا، ودَلَّهُمْ علَى مَا هُوَ خيرٌ لَهُمْ عندَ ربِّهِمْ وَأزكَى، فَقالَ ﷺ: «أيُّها النَّاسُ، ارْبَعُوا علَى أنفُسِكُمْ (ارْفقُوا بهَا، فَاخْفِضُوا مِن أَصواتِكُمْ)، إنَّكُمْ ليسَ تَدْعُونَ أصَمَّ وَلاَ غائِباً، إنَّكُمْ تَدْعُونَ سَميعاً قَريباً، وهُوَ مَعَكُمْ» [مسلم].

مِنْ آدابِ الذِّكْرِ خَفْضُ الصَّوتِ، لِمَا في ذلِكَ مِنَ التَّوقيرِ للهِ تَعالَى الذي يعلَمُ السِّرَّ وأخفَى، وحتَّى لا تَختَلِطَ الأصواتُ وتَتَداخَلُ، أو تُشَوِّشُ الفِكرَ.

سِبَاقُ الحَسَنَاتِ

ذهَبَ فقراءُ المهَاجِرينَ إلي النَّبيِّ ﷺ فقَالُوا: ذهَبَ أهلُ الدُّثورِ (أصحابُ الأموالِ) بالدَّرَجَاتِ العُلاَ وَالنَّعيمِ المُقِيمِ: يُصَلُّونَ كمَا نُصَلِّي، ويَصُومُونَ كمَا نَصُومُ، ولَهُمْ فَضلٌ مِنْ أموالٍ فَيَحُجُّونَ وَيعتَمِرُونَ وَيجاهِدُونَ ويتَصَدَّقُونَ.

فَقالَ ﷺ: «ألاَ أُعَلِّمُكُمْ شَيئاً تُدرِكُونَ بهِ مَن سَبقَكُمْ، وَتسبِقُونَ بهِ مَنْ بعدكُمْ، وَلا يكُونُ أحَدٌ أفضَلَ منكُمْ؛ إلاَّ مَنْ صنَعَ مِثلَ مَا صنَعتُمْ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رسولَ الله. فَقَالَ ﷺ: «تُسَبِّحونَ، وتَحمَدُونَ، وتُكَبِّرونَ، خَلْفَ كُلِّ صَلاة ثَلاثاً وثَلاثينَ». أي تقولُونَ: سُبحانَ اللهِ وَالحَمدُ للهِ واللهُ أكبَرُ. فَخَرَجُوا مِنْ عِنْدهِ ﷺ فَرِحِينَ بمَا تعَلَّمُوهُ.

وبعدَ فَتْرةٍ، رجَعُوا إلى النَّبيِّ ﷺ فَقَالُوا: سَمعَ إِخوانُنَا أهلُ الأموالِ بمَا فَعَلْنَا ففَعَلُوا مِثلَهُ. فَقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «ذلكَ فَضْلُ اللهِ يُؤتِيهِ مَنْ يَشاءُ» [متفق عليه].

مِنْ آدابِ الذِّكْرِ: المُواظَبةُ عليهِ في أحوالٍ مُعَيَّنةٍ، مِنهَا: خَلْفَ الصَّلاةِ المكتوبَةِ، وقبلَ طُلوعِ الشَّمسِ وقبلَ غُروبِهَا، وفِي جَوْفِ اللَّيلِ.

ذِكْرٌ وَاستِجَابَةٌ

فِي واحد من مجالسِ الذِّكْرِ، قالَ أحَدُ الحاضِرِينَ: إنِّي لأَعلَمُ متَى يَذْكُرُنِي ربِّي. وإذَا بمَقَالَتِهِ تَنزِلُ على أسماعِ رفاقِهِ كالصَّاعقةِ، إذْ كيفَ يَدَّعِي عابدٌ ذلكَ لنفسهِ؟ فَسألُوهُ مُتعجِّبينَ: تقولُ أنَّكَ تَعلَمُ حينَ يَذكُرُكَ ربُّكَ؟! فقالَ في ثِقةٍ: نَعَم! قَالُوا: ومتَى؟! قَالَ: إذَا ذَكَرْتُهُ ذَكَرَنِي، ثُمَّ تَلاَ: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة:١٥٢]. فذهَبَ عَنْهُمْ مَا تَعَجَّبُوا منْهُ، وعَلِمُوا أنَّهُ قَدْ صَدَقَهُمْ.

ثمَّ عادَتْ كلِماتُ العابدِ مِنْ جديد تقطَعُ حديثَهُمْ فَقالَ: وإنِّي لأعلَمُ متَى يستَجيبُ لِي ربِّي! فقَالُوا: تعلمُ حينَ يستَجيبُ لَكَ ربُّكَ؟! قَالَ: نَعَم!! قَالُوا: وكيفَ تَعلَمُ ذَلِكَ؟! قَالَ: إذَا وَجِلَ قلبِي، واقشَعَرَّ جِلْدِي، وفَاضَتْ عَيْنَاي، وفُتِحَ لِي في الدُّعاءِ، فَثَمَّ أعلَمُ أنْ قَدِ استُجِيبَ لِي.

فَعَلِمُوا أنْ قَدْ صدَقَهُمْ هذِهِ المرَّةَ - أيْضاً - .

المُسلِمُ يَعلَمُ أنَّهُ يكُونُ جَلِيسُ ربِّهِ حينمَا يَذْكُرُهُ، فَيَتَطَهَّرُ، ويَلبَسُ لِمَجلِسِهِ أحسَنَ ثيابِهِ، ولاَ يقولُ إلاَّ حَقّاً، ويتَدبَّرُ مَا يقُولُ.

صَاحِبُ الكَلِمَةِ

كانَ رسُولُ اللهِ ﷺ جَالساً وحولَهُ صحَابتُهُ الكرامُ ـ رِضوانُ اللهِ عَليهِمْ ـ فَقالَ واحدٌ مِنْهُمْ: الحمدُ للهِ حمداً كَثيراً طَيِّباً مُباركاً فيهِ. فَسَمِعَهُ رسُولُ اللهِ ﷺ فَقالَ: «مَن صَاحِبُ الكلمة؟».

وهَنَا تَخوَّفَ الرَّجُلُ ألاَّ يكُونَ أحسَنَ الثَّناءَ على اللهِ ـ جلَّ وَعَلا ـ أو أَنْ يكُونَ قَدْ أخطَأَ خطأً كَرِهَهُ النَّبيُّ ﷺ، فآثَرَ السُّكُوتَ ولَمْ يَرُدَّ. وعَلِمَ النَّبيُّ ﷺ بمَا يَدُورُ في نفسِ الرَّجُلِ فَأعادَ سُؤالَهُ مُطَمْئِناً لَهُ قَائِلاً: «مَنْ هُوَ؟ فإنَّهُ لَمْ يَقُلْ إلاَّ صَوابَاً».

فَاطْمَأَنَّ الرَّجلُ فَأسرَعَ يقولُ: أنَا قُلتُهَا يَا رسولَ اللهِ، أَرجو بِهَا الخَيرَ.

فقالَ رسُولِ اللهِ ﷺ: «وَالذي نفسِي بيَدِهِ، لَقَدْ رأَيتُ ثَلاثَةَ عشرَ مَلَكاً يَبْتَدِرُونَ كلِمَتَكَ (يُسْرِعُونَ إِليهَا)؛ أَيُّهُمْ يَرفَعُهَا إلى اللهِ تبارَكَ وتَعالَى» [الطبراني].

عَلى المُسلِمِ أَنْ يَتَعلَّمَ كيفَ يُحسِنُ الثَّناءَ على اللهِ عزَّ وجلَّ، وَأَنْ يُريدَ بذِكْرِهِ للهِ الخَيرَ على الدَّوامِ.

الملائِكةُ ومجَالسُ الذِّكْرِ

إنَّ للهِ مَلائكةً مُوكَّلينَ بمَجالسِ الذِّكْرِ، فإذَا وجَدُوا أُناساً يَذكُرُونَ اللهَ تَعالَى جاؤُوا وقعَدُوا معَهُمْ، فإذَا تفرَّقَ الذَّاكِرُونَ تَفرَّقَتِ الملاَئكةُ عائدةً إلى ربِّهَا.

فَيَسألُهُمْ ربُّهُمْ وهُوَ أعلَمُ بِهِمْ: «مِنْ أينَ جِئْتُمْ؟».

فَيقولُونَ: مِنْ عندِ عِبَادٍ لكَ فِي الأرضِ يُسبِّحُونَكَ وَيكبِّرُونَكَ وَيهَلِّلونَكَ وَيحْمَدُونَكَ وَيسألُونَكَ.

فيقولُ تَعالَى: «وماذَا يَسألُونِي؟». فَيقولُونَ: يَسألونَكَ جنَّتَكَ. فيقولُ تَعالَى: «وهَلْ رأُوا جنَّتِي؟». فيقولُونَ: لاَ، أَيْ رَبِّ. فيقولُ تَعالَى: «فَكيفَ لَو رأُوا جنَّتِي؟». فيقولُونَ: وَيسْتَجيرُونَكَ. فَيقولُ تَعالَى: «وَمِمَّ يَسْتَجيرُونَنِي؟». فَيقولُونَ: مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ.

فيقولُ تعالَى: "وهَلْ رأُوا نَارِي؟». فَيقولُون: لا. فَيقولُ تَعالَى: «فَكيفَ لَو رأُوا نَارِي؟». فيقولُونَ: وَيستَغْفِرُونَكَ. فَيقولُ تَعالَى: «قَدْ غفَرتُ لَهُمْ فَأعطَيْتُهُمْ مَا سَألُوا، وَأجَرتُهُمْ مِمَّا استَجَارُوا» [متفق عليه].

المُسلِمُ يَحرَصُ علَى أنْ تَكُونَ مَجالِسُهُ مُشتَمِلةً على التَّسبيحِ وَالتَّحميدِ وَالتَّهليلِ وَالتَّمْجيدِ وَالاستِغفارِ وسُؤالِ الجنَّةِ وَالاستِعَاذةِ مِنَ النَّارِ.

لَيتَهُ لَمْ يَتَكلَّمْ

جلَسَ رسُولُ اللهِ ﷺ ومعَهُ بعضُ صحَابتِهِ، والنَّاسُ مِن حَولِهِمْ حِلَقٌ يَذْكرُونَ اللهَ تَعالَى.

ثُمَّ حدَثَ مِنْ رسولِ اللهِ ﷺ أمرٌ، شَدَّ انتباهَ الجالسِينَ حولَهُ، وَأثارَ فُضُولَهُمْ، حيثُ رَفَعَ النَّبيُّ ﷺ بصَرَهُ إلى السَّماءِ، ثمَّ عادَ يُرجعُ بِبَصَرِهِ إلى الأرضِ، كأنَّهُ يَنظُرُ إلى شيءٍ هَابطٍ مِنَ السَّماءِ إلى الأرضِ، يَراهُ؛ ولاَ يَراهُ النَّاسُ مِنْ حَولِهِ. ثمَّ عادَ ﷺ يرفَعُ البَصَرَ نحوَ السَّماءِ كأنَّما يُوَدِّعُ به شَيئاً صَاعِداً نحوهَا. فَلَمْ يَمْلِكُ بعضُ مَنْ لاحَظَ ذلكَ نفسَهُ، فَسَألُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ ذلكَ، فَقالَ ﷺ: «إنَّ هؤلاءِ القومَ ــ وأشارَ إلى أهلِ مجلسٍ أمامَهُ ـ كانُوا يَذْكُرُونَ اللهَ ــ تَعالى ـ فنَزَلَتْ عليهِمُ السَّكِيْنَةُ تَحْمِلُهَا الملائكةُ كَالقُبَّةِ، فلَمَّا دَنَتْ مِنْهُمْ، تكَلَّمَ رَجلٌ مِنْهُمْ بِباطلٍ، فَرُفِعَتْ عنهُمْ» [ابن المبارك].

الذَّاكِرُ لاَ يَتكَلَّمُ في مجلِسِهِ إلاَّ بخَيرٍ، فَإنَّ الملائِكَةَ المُوكَّلَةَ بمجَالسِ الذِّكْرِ لا تَحْضُرُ المَجلِسَ الذي يَتحَدَّثُ فيهِ النَّاسُ بالبَاطلِ.

حَلقَاتُ الذِّكْرِ

ذاتَ يَومٍ، كانَ الرَّسُولُ ﷺ جَالِساً مـعَ أصـحابِهِ في حَلْقةٍ في المَسجِدِ، فَأقبَـلَ ثَلاثـةُ رِجـالٍ، فَابتَعَـدَ رَجـلٌ منْهُمْ وخَرَجَ مِنَ المَسجدِ، وَاقتَرَبَ رَجُـلانِ مِـنَ الحَلْقَـةِ فَرأَى أحَدُهُمَا مكاناً خَالِياً فِي الحَلْقةِ فَجلَسَ فِيـهِ، وَأمَّـا الثَّانِي فَلَمْ يَجِدْ مكاناً فَاستَحْيَا أَنْ يُزاحِمَ وجَلَسَ خَلفَهُمْ.

فَقالَ النَّبيُّ ﷺ: «أَلاَ أُخبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلاثـةِ: أمَّـا أحَدُهُمْ فَأوَى إلى اللهِ فآواهُ اللهُ (أيْ ضَمَّهُ اللهُ إلى رَحمتِـهِ ورِضْوانِهِ). وأمَّا الآخرُ فَاستَحْيَا فَاستَحْيَا اللهُ منْـهُ (رحِمَـهُ وَلَـمْ يُعاقِبْـهُ)، وأمَّـا الآخَـرُ فـأعرَضَ فَـأعرَضَ اللهُ عَنْـهُ (سَخِطَ عليهِ)» [البخاري].

قَالَ ﷺ: «لاَ يَقْعُدُ قَومٌ يَذْكُرونَ اللهَ إلاَّ حَفَّتْهُمُ الملائِكـةُ وَغشِـيَتْهُمُ الرَّحمةُ ونزلَتْ عَليهِمُ السَّكِينَةُ وذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِندَهُ» [مسلم].

مَجلِسٌ وذِكْرَى

خرجَ أميرُ المؤمنينَ مُعاويـةُ بـنُ أَبي سُـفيانَ ــ رَضِـيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ إلى المَسجدِ فَوجَدَ جَماعةً مِنَ المُسلمينَ يَجلسُـونَ في دائرةٍ، فَاقترَبَ مِنْهُمْ وسَألَهُمْ: مَا أَجلَسكُمْ؟ قَالُوا: جَلَسْنَا نذْكُرُ اللهَ. فَاستَحْلَفَهُمْ رضي الله عنه علَى مَـا قـالُوا. فَقـالُوا: وَاللهِ مَـا أَجْلَسَـنَا إلاَّ ذاكَ. فـأخبَرَهُمْ مُعاويـةُ رضـي الله عنـه أَنَّـهُ لَـمْ يَسْتَحلِفْهُمْ تُهْمةً لَهُمْ.

ثُمَّ حكَى لَهُـمْ أَنَّ رسُـولَ اللهِ ﷺ خـرَجَ علَـى حَلْقـةٍ مِـنْ أصـحابِهِ، فَقـالَ: «مَـا أَجْلَسَـكُمْ؟». قَـالُوا: جَلَسْـنَا نـذْكُرُ اللهَ ونحمَدُهُ علَى مَا هَدانَا للإسلامِ ومَنَّ بهِ عَلينَا. فَقالَ ﷺ: "آللهِ مَا أَجْلَسكُمْ إلاَّ ذاكَ؟». قَـالُوا: واللهِ مَـا أَجْلَسَـنَا إلاَّ ذاكَ. فَقـالَ: «أمَا إنِّي لَمْ أَستَحلِفكُمْ تُهمةً لَكُمْ، ولَكِنْ أَتانِي جِبريلُ فَأخبَرَنِي أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يُباهِي بِكُمُ الملائكةَ (يُبيِّنُ لَهُمْ فَضْلَكُمْ وحُسْـنَ أعمالِكُمْ)». [متفق عليه].

مِنْ آدابِ الذِّكرِ: الإخلاصُ، وَالاجتماعُ علَـى الـذِّكْرِ، وأَنْ يكُـونَ في المَسجدِ، فهذَا ممَّا يُقَرِّبُ المُسلِمَ مِنْ رَبِّهِ.

الصَّلاةُ في بَطْنِ الحُوتِ

أَرسَلَ اللهُ ـ جَلَّ وعَلاَ ـ يُونُسَ عليه السلام إلى قَومِهِ يَدْعُوهُمْ إلى عبادةِ اللهِ ـ تَعالَى ـ وَحْدَهُ، فَلَمْ يَستَجِيبُوا لَهُ زَماناً طَوِيلاً.

ولَمَّا رأى يُونُسُ عليه السلام إصْرَارَهُمْ على الكُفرِ؛ تَركَهُمْ وَاتَّجَهَ إلى الشَّاطِئِ لِيَرْحَلَ عَنْهُمْ. فركِبَ سَفينَةً، فلَمَّا سَارَتْ هَاجَتِ الرِّيحُ، وَارتفَعتِ الأَمواجُ، وظَنَّ أصحابُهَا أَنْ لاَ نَجاةَ لَهُمْ إلاَّ بالتَّخلُّصِ مِنْ بعضِ الأحمالِ وَالرُّكابِ، فَأَجْرَوا لأَجلِ ذلكَ قُرْعَةً، وكانَ يونُسُ عليه السلام مِنْ بينِ مَنْ أصابَتْهُمُ القُرْعَةُ، فَأَلقَوهُ في البَحرِ، فَجاءَ حُوتٌ كبيرٌ فابتَلَعَهُ.

ولَمْ يَنْسَ يونُسُ عليه السلام ـ رُغْمَ مَا نَزَلَ بهِ مِنْ كَرْبٍ ـ ذِكْرَ ربِّهِ ـ جَلَّ وعَلا ـ فكانَ يَذْكُرُهُ هناكَ في بطنِ الحُوتِ قَائلاً: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٧]. فَاستجَابَ لَهُ ربُّهُ ونَجَّاهُ مِمَّا حَلَّ بهِ مِن كَرْبٍ وغَمٍّ.

قَالَ ﷺ عن دَعْوةِ ذي النُّونِ [يونُسَ عليه السلام] وهُوَ في بَطنِ الحُوتِ: «فإنَّهُ لَمْ يَدْعُ بهَا رَجُلٌ مُسلِمٌ في شيءٍ قَطُّ إلاَّ استَجابَ [اللهُ] لَهُ» [الحاكم].

الذِّكْرُ الدَّائمُ

جَاءَتِ امـرأةٌ مِـنْ بَنِـي أَسَـدٍ إلى أُمِّ المـؤمنينَ السَّـيِّدةُ عَائِشةَ بنتِ أَبي بكرٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - تَزُورُهَا، فَبينَمَا هِي عِندَهَا إِذْ دخَلَ رسُولُ اللهِ ﷺ، فلَمَّا رأى المرأةَ سَألَ عَائِشةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - قَائلاً: "مَن هذِهِ؟".

قَالتْ عائِشةُ: فُلانَةُ، لا تَنامُ اللَّيلَ.

ثمَّ راحَتْ تَذْكُرُ مِنْ صَلاتِهَا وَصبْرِهَا على العِبادةِ.

فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «عَليكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ، فَواللهِ لا يَمَلُّ اللهُ حتَّى تَمَلُّوا».

وَأخبرَتِ السَّيِّدةُ عَائِشةُ ـ رَضِـيَ اللهُ عَنْهَـا - أنَّ أحَـبَّ الدِّينِ إلى النَّبيِّ ﷺ مـا كَـانَ يُـداوِمُ عَليـهِ صـاحِبُهُ. [متفـق عليه].

مِنْ آدابِ الذِّكرِ ألاَّ يَتكلَّفَ المَرءُ مِنَ الذِّكرِ مَا لاَ يُمكنُـهُ الاسـتدَامةُ عَليهِ، فَلاَ يَحْسُنُ بالمُسلِمِ أنْ يكُونَ على عبادةٍ وذِكْرٍ ثُمَّ يَترُكُهَا.

مَجالِسُ الخَيرِ

كانَ الصَّحَابيُّ الجَليلُ عبدُ اللهِ بنُ رَوَاحةَ رضي الله عنه عَاشِقاً لمجالسِ الذِّكْرِ، حَرِيصاً على إقامَتِهَا، فكانَ يَخرُجُ مِنْ بَيتِهِ بَاحِثاً عَنْهَا وداعِياً إليهَا، وكانَ إذَا لَقِيَ رَجلاً مِنْ أصحابِ رسُولِ الله ﷺ قَالَ لهُ: تَعالَ نُؤْمِنُ بربِّنَا ساعةً.

فخرَجَ ذاتَ يومٍ، فَلقِيَهُ رَجلٌ مِن أصحابِهِ، فَقالَ لهُ عبدُ اللهِ رضي الله عنه: تَعالَ نُؤْمِنُ سَاعةً. فَغَضبَ الرَّجلُ مِنْ مَقالَتِهِ، وذَهَبَ إلى النَّبيِّ ﷺ فقالَ: يَا رسُولَ الله! ألاَ تَرَى إلى ابنِ رَوَاحَةَ يُرغِّبُ عَن إيمانِكَ إلى إيمانِ سَاعةٍ؟!

فَقالَ النَّبيُّ ﷺ: «يَرحَمُ اللهُ ابنَ رَوَاحَةَ؛ إنَّهُ يُحِبُّ المَجَالِسَ التي تَتَباهَى بهَا الملائِكةُ» [أحمد].

قَالَ رسُولُ الله ﷺ عَن ثوابِ الذينَ يجتَمعُونَ على الذِّكْرِ: "نَادَاهُمْ مُنادٍ مِنَ السَّماءِ أَنْ قومُوا مَغْفوراً لَكُمْ، قَدْ بُدِّلَتْ سَيِّئاتُكُمْ حَسَناتٍ» [أحمد].

دُمُوعُ النَّبيِّ ﷺ

ذاتَ يَومٍ، قَالَ النَّبيُّ ﷺ لعبدِ اللهِ بنِ مَسعودٍ رضي الله عنه: «اقرَأْ علَيَّ». وكانَ رضي الله عنه مِنْ أعلَمِ الصَّحابةِ بالقُرآنِ وأنْداهُمْ بهِ صَوتاً. فَاحتَارَ عبدُ اللهِ فيمَا سَمعَ، وقَالَ مُعبِّراً عَن حَيْرَتِهِ: يَا رسولَ اللهِ؛ أَقرأُ عَليكَ وَعليكَ أُنزِلَ؟

فيَقُولُ النَّبيُّ ﷺ: «إنِّي أُحِبُّ أنْ أسْمَعَهُ مِنْ غَيرِي».

فَيستَجيبُ عبدُ اللهِ رضي الله عنه مِنْ فَوْرِهِ ويَبدأُ في القِراءةِ، فيفتَتِحُ سُورةَ النِّساءِ يَقرأُ مِنْهَا، حتى بلَغَ قولَهُ تَعالَى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]. فَيَسْتوقِفُهُ رسُولُ اللهِ ﷺ قائلاً: «حَسْبُكَ». قَدْ قالَهَا في نَبْرةٍ غلَبَ عَليهَا الحُزْنُ وبَدا فيهَا أثَرُ البُكاءِ.

ويتَوقَّفُ ابنُ مَسعودٍ رضي الله عنه، وقَدْ هالَهُ مَا ظَهرَ في صَوتِ النَّبيِّ ﷺ مِنْ حُزْنٍ وبُكاءٍ، ثُمَّ يَرْفَعُ بصَرَهُ إلى حَبيبِهِ ﷺ فإذَا هُوَ يَبكِي. [متفق عليه].

مِنْ آدابِ الذِّكْرِ: استماعُهُ مِنَ الغَيرِ؛ فإنَّ الاستماعَ أيْسَرُ وأكثَرُ عَوْناً علَى الفَهمِ وَالتَّدبُّرِ، كمَا أنَّ في الذِّكْرِ الجَمَاعيِّ تَجْدِيداً لنَشاطِ الذَّاكِرينَ.

المِيـزَانُ

صلَّى رسُولُ اللهِ ﷺ بأصحابِهِ صلاةَ الصُّبحِ، ثُمَّ انصَـرَفَ فَدَخلَ على زَوجِهِ أُمِّ المُؤمنينَ جُوَيْرِيَّةَ بنتِ الحـارِثِ ــ رَضِـيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ فإذَا هِي جالِسةٌ تَذْكُرُ اللهَ عزَّ وجلَّ، فَتَركَهَا وشَـأْنَهَا ومَا شَغَلَتْ بهِ نفسَهَا مِنْ تَسبيحٍ وَتكبيرٍ وَتحميدٍ وَتَهليلٍ وسُؤالٍ وَاستِغفَارٍ، وَخرجَ ﷺ.

فلمَّا ارتفَعَ الضُّحَى ـ قَريباً مِنْ مُنتَصَفِ النَّهارِ ـ رجَـعَ ﷺ فَوجَدَ أُمَّ المُؤمنِينَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ علـى الحـالِ الـتي تركَهَـا عَليْهَا مِنَ الذِّكْرِ، فَقالَ ﷺ: «مَا زِلْتِ اليـومَ علـى الحـالِ الـتي فَارَقْتُك عَليهَا؟» قَالَتْ: نَعَم.

فَقالَ ﷺ: «لَقَد قُلْتُ بعدَكِ أربعَ كَلماتٍ ـ ثلاثَ مرَّاتٍ ـ لَو وُزِنَتْ بمَا قُلْتِ منذُ اليومَ لوَزَنَتْهُنَّ: سُبحانَ اللهِ وبحمـدِهِ، عـدَدَ خلْقِهِ، ورِضَا نفسِهِ، وزِنةَ عَرْشِهِ، ومِدادَ كلماتِهِ» [مسلم].

مِنْ آدابِ الذِّكْرِ: ذِكْرُ اللهِ بالجَوامعِ مِنَ الـذِّكْرِ، وَتكْـرارُ الـذِّكْرِ ثَلاثـاً، فَذلِكَ أَدْعَى لِلتَّفكُّرِ وَالتَّدبُّرِ في مَعانِي الذِّكْرِ.

التَّسبِيحُ وَالنَّوَى

ذَاتَ يَومٍ، جَلَسَتْ أُمُّ المُؤمِنِينَ صَفيَّةُ بِنتُ حُيَيٍّ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ تُسَبِّحُ ربَّهَا، وقَدْ أَحضَرَتْ بينَ يدَيْهَا أَربعةَ آلافِ نَوَاةٍ، كُلَّمَا سبَّحَتْ تَسبيحةً أخذَتْ نواةً مِمَّا أمَامَهَا فَأبعَدَتْهَا.

وجَاءَ رسُولُ اللهِ ﷺ فَدخَلَ عَليهَا وَهِيَ تَصنَعُ ذَلِكَ، فَقالَ: «يَا بِنتَ حَيَيٍّ مَا هذَا؟». قَالَتْ: أُسبِّحُ بِهِنَّ.

فَقالَ ﷺ: «قَدْ سَبَّحْتُ (الآنَ) منذُ قُمْتُ على رأسِكِ، أكثَرَ مِنْ هذَا»، فَقالَتْ أُمُّ المُؤمِنينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: عَلِّمْنِي يَا رسُولَ اللهِ. قَالَ: «قُولِي: سُبحانَ اللهِ عددَ مَا خَلَقَ مِنْ شَيءٍ». [الحاكم].

يَجُوزُ عَدُّ وحسابُ الذِّكْرِ بكلِّ وَسيلةٍ مَشْروعَةٍ لِلعَدِّ: كالحَصَى أوِ المَسْبَحةِ، إلاَّ أنَّ عَقْدَ الذِّكْرِ وعَدَّهُ بالأنامِلِ أفضَلُ.

قَصصُ آدابِ الذِّكْرِ

مَا أحلَى ذِكْرَ اللهِ عَلى ألسنَةِ الذينَ يَذْكُرُونَ اللهَ كَثيراً، وَأرَقَّهُ علَى أسماعِهِمْ، وَأسعَدَهُمْ بهِ فِي الآخرةِ عندَ لقاءِ ربِّهِمْ، قَالَ رسُولُ اللهِ ﷺ لأصحابِهِ ـ رضوانُ اللهِ عَليهِمْ ـ : «ألا أُنبِّئُكُمْ بخَيرِ أعمالِكُمْ، وَأزكَاهَا عندَ مَليكِكُمْ، وَأرفَعِهَا فِي دَرجاتِكُمْ، وَخيرٍ لَكُمْ مِن إنفَاقِ الذَّهَبِ وَالوَرِقِ (الفِضَّةِ)، وَخيرٍ لَكُمْ مِنْ أنْ تَلقَوْا عدُوَّكُمْ فَتضْرِبُوا أعناقَهُمْ ويضْرِبُوا أعناقَكُمْ؟». قَالُوا: بَلَى. قَالَ: «ذِكْرُ اللهِ تَعالَى» [الترمذي وأحمد].

وَمجَالِسُ الذِّكْرِ تُورِثُ القلبَ طُمَأنينةً وَأَمْناً، قَالَ تَعالَى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨].

وَهِيَ تَملأُ القَلبَ رِقَّةً وتَزيدُهُ إيماناً، وحتَّى يُؤتِي الذِّكْرُ ثِمَارَهُ، فَلا بُدَّ لِلذَّاكِرِ مِنْ عِلْمٍ يتعَلَّمُهُ، وَآدابٍ يَتحَلَّى بِهَا، وَفِي هذَا الكتابِ قَدَّمْنَا بعضَ هذه الآدابِ، في صُورَةٍ مُختَصَرَةٍ وَطَريقةٍ مُيَسَّرَةٍ، عسَى أنْ يَنتَفِعَ بهَا كُلُّ مُسلِمٍ وَمُسلِمَةٍ.

* * * *

سلسلة قصص في الآداب

٨١٠٠٥٥